الدرس (٢٦٣) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فنواصل قراءتنا في هذا الكتاب المبارك كتاب: (رياض الصالحين) لأبي زكريا النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الملقي:

يقول المصنف أبو زكريا يحيى بن شرفٍ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٧٢- باب بيان مَا أعدَّ اللهُ تَعَالَى للمؤمنين في الجنة

الشيخ:

هذا بابٌ ختم به المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كتابه «رياض الصَّالحين»، وكما علمنا من خلال مضامين هذا الكتاب المبارك أنَّه كتابٌ حوى بيان هدي النَّبِيِّ ﷺ، في الأوامر والنَّواهي، والتَّرغيب والتَّرهيب، والرَّجاء والخوف، وفيه الأبواب الكثيرة المشتملة على الحثِّ على عبادة الله، وبيان أنواع العبادات الَّتِي أمر الله بها، فرضها ونفلها، وما أعدَّ اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لفعلها من الثواب العظيم، والأجر الجزيل.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بوَّب قبل هذا الباب، باب الاستغفار، وذلك أنَّ تلك الأوامر والنَّواهي، مهما اجتهد العبد في تكميلها، وتتميمها، والقيام بها، لا بُدَّ من القصور، وقد حثَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في خاتمة الكتاب عن الإكثار من الاستغفار، ثمَّ ختم بهذا الباب العظيم: بيان ما أعدَّ الله للمؤمنين في الجنَّات، مُبَيِّنًا من خلاله ما أعدَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الجنَّة لعباده المؤمنين، الَّذِين امتثلوا أوامره، وانتهوا عن نواهيه من الثَّواب العظيم، والنَّعيم المقيم، الَّذِي لا يحول ولا يزول.

الملقي:

يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨]).

الشيخ:

هذه الآية الأولى ممَّا ساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان ما أعدَّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمؤمنين في الجنَّة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الَّذِين اتَّقوا الله في هذه الحياة الدُّنيا، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهذه حقيقة تقوى الله، عملٌ بطاعة الله على نورٍ من الله، رجاء ثواب الله، وتركٌ لمعصية الله، على نورٍ من الله، خوفًا من عذاب الله.

قال سبحانه: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي: جنَّاتٍ احتوت على أنواع الأشجار، وصنوف الثِّمار، وأنواع الخيرات، ممَّا لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويُقال لهم عند دخول هذه الجنَّات: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي: الجنَّات ﴿بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ أي: لكم فيها السَّلامة التَّامَّة من كُلِّ مخوف، ولكم فيها الأمن التَّامُّ، فأنتم في الجنَّات آمنين من الموت، وآمنين من النَّصَب والتَّعب، وآمنين من الحزن والهمِّ، وأنواع الْمُكَدِّرات، وآمنين فيها أيضًا من انقطاع النَّعيم، أو نقصانه، وآمنين فيها من الأمراض والأسقام، كُلُّ ذلك تشمله هذه البشارة عند دخول الجنَّات، ثمَّ يُضاف إلى ذلك أنَّهم يدخلون الجنَّات بقلوبٍ صافية نقيَّة، ليس فيها غلٌّ أو حقد، أو ضغينة، أو حسد ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ فما كان في القلوب من ذلك، فإنَّه يُنزع، فتبقى القلوب في الجنَّة صافية نقيَّةً متحابَّة متآخية.

﴿إِخْوَٰنًا﴾ أي: هذه حالهم في الجنَّات، تجمعهم هذه الأخوَّة، أخوَّة الإيمان الَّتِي مضوا عليها في هذه الحياة، فكانوا في الجنَّات إخوة.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ وهذا التَّقابل في الجنَّات يدلُّ على الحال الكريمة الَّتِي هم عليها، من اجتماعٍ وأُلفةٍ وتزاورٍ، وتلاق، ليس في الجنَّة إعراضٌ، أو تدابرٌ، أو تهاجرٌ، أو تقاطعٌ، أو نحو ذلك، بل هم متقابلون، بما تعنيه هذه الكلمة، كلمة التَّقابل من معنى.

إضافةً إلى ذلك: فهم في تلك الجنَّات ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ والنَّصب: هو التَّعب، فليس في الجنَّة نصبٌ، بل فيها الرَّاحة، والطُّمأنينة، والسُّكون، وليس فيها أمرٌ يُكَدِّر المرء في ذاك النَّعيم الَّذِي يفوز به أهل الجنَّات.

ثمَّ ختم هذا السِّياق بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أي: باقين في هذا النَّعيم أبد الآباد، مُخَلَّدين فيه، في نعيمٍ لا يحول ولا يزول، نسأل الله الكريم من فضله.

الملقي:

يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقال تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزُّخرف: ٦٨ - ٧٣]).

الشيخ:

قول الله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ﴾ هذا نداءٌ ربَّانِيٌّ خصَّ به عباده المُتَّقين، وأوليائه المؤمنين، يشتمل على هذه البشارة العظيمة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ أي: لا يلحقكم خوفٌ فيما تستقبلونه، ولا أيضًا حزنٌ يصيبكم فيما مضى، والخوف والحزن إذا جُمع بينهما، فإن الخوف فيما يُستقبل، والحزن فيما مضى، فكلٌّ منهما منفيٌّ عن عباد الله المؤمنين، وانتفاء المكروه والمخوف والمُحْزِن يتضمَّن ثُبوت المحبوب، والمرغوب، والأمن والطُّمأنينة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ أي: الَّذِين وصفُهُم هو الإيمان بالله، والإيمان بآيات الله، وبكُلِّ ما أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده من إيمانٍ ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ أي: لله، انقيادًا

لأوامره، وطاعةً له، وفعلًا لما يأمر به، وهذا فيه صلاحهم عقيدةً وشريعة، صلاحهم عقيدةً بصلاح إيمانهم، وصلاحهم شريعةً بصلاح أعمالهم.

ثمَّ ذكر ثمرة هذا الامتثال وهذه الطَّاعة، فقال: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ أي: دار النَّعيم ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾ والمراد بالأزواج: أشباهِكم ونظرائِكم، وما كان على مثل حالكم طاعةً وعبادةً لله، من كُلِّ مقارنٍ لكم، من زوجةٍ أو ولدٍ، أو نحو ذلك.

وقوله: ﴿تُحۡبَرُونَ﴾ أي: تتنعَّمون، فلكم في الجنَّة اللَّذَّة والحُبُور، ولكم فيها النَّعيم.

قال: ﴿ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ ﴾ أي: أنَّ أهل الجنَّات يطوف عليهم فيها الولدان المُخَلَّدون، بصحافٍ من ذهب، فيها ما لذَّ وطاب من أنواع الأطعمة ﴿وَأَكۡوَابٖ﴾ بلغت من الصَّفاء غايته، يُقدَّم لهم فيها ما لذَّ وطاب من المشروبات الهنيئة.

﴿وَفِيهَا﴾ أي: الجنَّة ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ وهذا لفظٌ جامعٌ يشمل كُلَّ ما فيه قرَّة عين، من أنواع الملابس والمطاعم والمشارب، وأنواع اللَّذَّات من مطعومٍ وأيضًا من منظورٍ مُشاهد.

ثمَّ قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: لكم في هذه الجنَّات الخلود الدَّائم، فلا موت، ولا انقطاع لتلك اللَّذَّات، ثمَّ قال: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ أي: هذه الجنَّة الَّتِي نلتموها، الموصوفة بتلك الصِّفات، إنَّما نلتموها وأورثكم الله إيَّاها بما كنتم تعملون، أي: بما قدَّمتموه في الحياة الدُّنيا من الأعمال الصَّالحة، وأنواع القربات لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿ لَكُمۡ ﴾ أي: في الجنَّة ﴿فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ أي: تأكلون من أنواع الفواكه الشَّهيَّة اللَّذيذة الطَّيِّبة.

الملقي:

يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ

فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٥٦ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الدُّخان:٥١ - ٥٧]).

الشيخ:

هذه الآيات الكريمات من سورة الدخان فيها ما أعدَّه الله للمؤمنين المتقين في الجنّة، بدأها سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾ أي: من الموت والانقطاع، فلا آخر له ولا انقضاء، بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام يُخَلَّدون فيها أبد الآباد، ويُقيمون فيها بلا ارتحالٍ عنها، وهم في أمنٍ فيها من كُلِّ مخوفٍ أو مُكَدِّرٍ أو مُنَغِّص.

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ أي: إنَّ هذه الإقامة الآمنة الدَّائمة المستمرَّة، تكون في الجنَّات والعيون، بما حوته من أنواع النَّعيم، وأطايب الملاذِّ، وصنوف المِنَنْ، ومن ذلك: ﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: لباسهم في الجنَّات من الحرير، من السُّندس والإستبرق، وهو غليظ الحرير ورقيقه، وهم فيها ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ أي: في القلوب والوجوه، ليس بينهم عداواتٌ، ولا هجرٌ، ولا تباغضٌ ولا تدابرٌ، ولا تنطوي القلوب على حقدٍ ولا حسدٍ، أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ أي: نساءٍ جميلاتٍ حَسناوات، ينبهر الطرف من كمال جمالهِنَّ، وطيبهِنَّ، وأيضًا حسان العيون ﴿يَدۡعُونَ﴾ أي: أهل الجنَّات، ﴿فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾، أي: من انقطاع ذلك النَّعيم، وذلك التَّفكُّه والتَّلذُّذ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنَّة ﴿ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ وهي الموتة الَّتِي كانت في الدُّنيا ﴿وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: نجَّاهم وسلَّمهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من عذاب الجحيم.

ثمَّ ختم جَلَّ وَعَلَا هذا السِّياق المبارك، بقوله: ﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا النَّعيم الَّذِي هم فيه، هو مَنٌّ الله عليهم وفضله، وهو المُتَفَضِّل وحده لا شريك له.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النَّعيم والدُّخول للجنَّات ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾؛ لأنَّهم فازوا برضوان الله، وفازوا بجنَّته، وفازوا بالسَّلامة من عذابه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسخطه.

الملقي:

يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [المُطفِّفين:٢٢- ٢٨]. والآيات في الباب كثيرة معلومة).

الشيخ:

هذه الآيات الكريمات فيها بيانٌ لما أعدَّه الله تَبَارَكَوَتَعَالَى للمؤمنين في الجنَّة من أنواع النَّعيم، وصنوف الملذَّات، وأطايب الأُكل، وجميل المنظر، وحسن الرَّائحة، فهم في هذا النَّعيم يتلذَّذون، وبه يهنؤون، وسبب ذلك البِرُّ الَّذِي كانوا عليه في الحياة الدُّنيا.

ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ والأبرار: هم مَن قاموا بأعمال البِرِّ طاعةً لله، وتقرُّبًا إليه، وطلبًا لرضاه سُبۡحَانَهُوَتَعَالَى.

﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ أي: نعيم مقيم، فيه من أنواع الملذَّات، وصنوف النِّعَم، ما لا عينٌ رأيت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطَرَ على قلب بشر.

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ أي: في الجنَّات ﴿يَنظُرُونَ﴾ أي: إنَّهم في الجنَّات على الأرائك، وهي السُّرر المُزَيَّنة بالفُرُش الجميلة الحسنة الطَّيِّبة ﴿يَنظُرُونَ﴾ أي: إلى ما أعدَّه الله لأوليائه المُتَّقين، وعباده المُقَرَّبين، في جنَّات النَّعيم من صنوف الملذَّات، وأنواع النِّعم، وينظرون أيضًا إلى وجه الله الكريم، فإنَّ هذا أعظم نعيمٍ يناله أهل الجنَّة في الجنَّة، النَّظر إلى وجه الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَى، وسيأتي في خاتمة هذا الباب بعض الأحاديث المُتَعَلِّقة بذلك.

وقوله: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: تعرف أيُّها النَّاظر إليهم، عندما تنظر إلى وجوههم وحسنها وجمالها وبهائها، تعرف في تلك الوجوه ﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: بهاء النَّعيم، وحسنه وجماله، من حيث نضارة وجوههم، وجمالها وحسنها وبهاؤُها.

﴿يُسۡقَوۡنَ﴾ أي: في الجنَّة ﴿مِن رَّحِيقٍ مَّخۡتُومٍ﴾ من رحيق، هو من أطيب ما يكون من الأشربة، وألذَّه وأحسنه.

وقوله: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ أي: ذلك الشَّراب، ثمَّ بيَّن نوع خاتمِه، قال: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ﴾ النَّعيم الَّذِي يُكرمهم الله به في الجنَّة ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ أي: ليتسابق المتسابقون ليكونوا من أهل هذا النَّعيم، ومن أهل الدَّرجات العُلا في جنَّات النَّعيم.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي: هذا الشَّراب مزاجه من تسنيم، وهي عينٌ يشرب بها المُقَرَّبون، وهي أعلى شراب أهل الجنَّة، وأحسنه وأطيبه.

وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فيه تفرقةٌ بين العين الَّتِي يشرب منها الأبرار، والعين الَّتِي يشرب منها المُقَرَّبون، فالتَّسنيم هو أعلى أشربة الجنَّة، والمُقَرَّبون يشربون منه خالصًا، أي: يشربون صِرْفًا من تلك العين، أمَّا الأبرار فإنَّها تُمزج لهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ أي: يُمزج شرابهم بماء تسنيم، الَّذِي هو أعلى أشربة الجنَّة، فالمُقَرَّبون يشربون من تسنيم شُرْبًا صِرْفًا دون أن يُمزج ودون أن يُخلط، والأبرار يمزج شرابهم من تسنيم.

الملقي:

يقول المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٨٨٠ - (وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١)).

الشيخ:

هذا بيانٌ في هذا الحديث وهو أوَّل حديث ساقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا الباب لنعيم أهل الجنَّة، وحالهم، وما يُمَتِّعهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به في أجسامهم من صحَّةٍ وعافيةٍ وقوَّة، وبعدٍ عن الأذى والقذر، فيقول ﷺ: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ**» أي: يأكلون من ألذِّ الأكل، وأطيبه وأحسنه، ويشربون من أحسن الشَّراب وأطيبه، ثمَّ هم مع ذلك لا يتغوَّطون، ولا يبولون، فلا يحتاجون إلى ذلك، كما هو الحال في الحياة الدُّنيا، وكذلك لا يمتخطون، والمخاط: هو القذر الَّذِي يخرج من الأنف.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٥).

وهنا قد يسأل سائل: إذا كانوا لا يتغوَّطون، ولا يمتخطون، ولا يبولون، كيف يكون خروج ما فضَل من الطَّعام عن حاجة البدن، وزاد؟

قال: «وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ» أي: يخرج منهم بالتَّجشُّؤ، وهو تنفُّس المعدة.

«كَرَشْحِ المِسْكِ» أي: مثل رائحة أطيب الطِّيب، وهو المسك، فما أعظمها من حال! وما أكرمه من نعيم! وما أهنأها من لذَّة!

قال: «يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ» أي: يُسَبِّحون ويُكَبِّرون في الجنَّة، ويُلهمون ذلك كما يُلهمون النَّفَس، ويكون هذا التَّسبيح والتَّكبير جزءًا من لذَّتهم، ونعيمهم وقرَّة عينهم في جنَّات النَّعيم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: "فهذا ليس من عمل التكليف الذي يُطلب له ثوابٌ منفصلٌ، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعَّم به الأنفس وتتلذَّذ به، فإن أهل الجنَّة يتنعَّمُون بذكره وتسبيحه، ويتنعَّمُون بقراءة القرآن، ويقال لقارئ القرآن: اقرأ وارْقَ ورتّل كما كنت تُرتّل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها، ويتنعّمون بمخاطبتهم لربِّهم ومناجاته، وإنْ كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالًا يترتَّب عليها الثواب؛ فهي في الآخرة أعمالٌ يتنعَّم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه".

ونسأل اللّه الكريم أن ينفعنا أجمعين بـما علمنا، وأن يزيدنا علمًا وتوفيقًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلى اللّه وسلّم على عبده ورسوله نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.